عهد الخلافة في بلاد الأندلس

المدرس المساعد : اكرم محي عاكول
akram1977@uomustansiriyah.edu.iq

عند انتهاء عصر الامارة في الأندلس بدأ عهداً جديداً وهو عهد الخلافة الدولة الأموية (عصر الخلافة) وتبدأ إرهاصات هذه الفترة بتولي عبد الرحمن الناصر (300 - 350 هـ / 912 – 962 م) حكم البلاد الذي كان عليه أن ينهض بمهمة ثقيلة ، حيث تعرضت الإمارة للثورات من كل ناحية ، فبدأ بقيادة القوات والقضاء على الثائرين الواحد تلو الآخر حتى ضيق على ابن حفصون فاضطر لطلب الأمان فو افقه الأمير على ذلك ، وفى شهر (ربيع الأول سنة 306 هـ / 981 م) مات عمر بن حفصون عن عمر يناهز (72 عام) بعد أن قاد أكبر ثورة قام بها المولدون ضد الإدارة الأموية في غرب الأندلس كله ، اثنين وسبعين عاماً ، وبحلول وتنفست الحكومة الأموية بوفاته الصعداء بعد أن كان شاغلها الشاغل طوال ثلاثين عام سنة (317 هـ / 929 م) استطاع الناصر لدين الله القضاء على آخر الثورات التي استنزفت مجهود الدولة لسنوات طويلة ، وتعرضت الحدود الشمالية لقرطبة لأخطار جسيمة من طرف النصارى قبل أن يتولى عبد الرحمن الناصر ، وكان الناصر يؤثر في أول الأمر غض الطرف عن محاربتهم إلى أن يتمكن من تطهير الأندلس من الثائرين ، لكن هذا التخريب والفساد والعبث من جانبهم جعل الناصر يتخلى عن أسلوبه الأول ، فبعث بالجيوش وقاد بنفسه الحملات التي ألحقت بهم الخسائر الفادحة حتى كسر شوكتهم واسترد العديد من المدن والحصون والقلاع وأجبرهم على الولاء له. وعندما تولى عبد الرحمن الناصر ، كانت الدولة الفاطمية قد قامت في بلاد المغرب منذ أربع سنوات في (296هـ / 908 م) ، وامتد نفوذها بسرعة حتى وصل إلى سبتة ، وأصبحت تهدد الشواطئ في الأندلسية وتمثل خطر الأندلس دينيا وسياسيا عليها ، ومن الطبيعي أن يزعج هذا الأمر الأمويين ؛ لأن المغرب قاعدة من يريد الوصول إلى الأندلس وكما أنه يمد الثوار بحاجاتهم ويشجعهم على التآمر ضد الإدارة الأموية كان على الناصر أن يواجه هذه المشكلة قبل أن يستفحل خطرها. ولهذا بعث سنة (319 هـ / 931 م) أسطولا مكون (120) سفينة وسبعة آلاف رجل إلى سبتة و انضم إليه بعض المتطوعة في الطريق ، وقد تمكن هذا الأسطول من السيطرة على سبتة ، ثم حاصر الأسطول بعد ذلك طنجة وضيق عليها حتى استسلمت وخضعت للناصر وغادرها بقية الأدارسة ، وبادر زعماء البربر إلى إعلان الطاعة للناصر وامتدت دعوته حتى فاس .

عبد الرحمن الناصر يعلن نفسه خليفة

عندما تولى عبد الرحمن الداخل أمر بعدم الدعاء لبنى العباس ولم يتخذ لقب الخلافة مكتفي بالإمارة ، وساربنوه على نهجه ، فلما تولى الناصر ، وجد أن هناك دولة فاطمية قامت في بلاد الشمال الإفريقي ، ووصل نفوذها إلى شواطئ المغرب الأقصى ، وقد اتخذ حكامها لأنفسهم لقب الخلافة وسماتها ، إلى جانب ما يشكلونه من خطر شيعي على المنطقة ، كما أن خلافة بني العباس دخلت أطوار الضعف والانحطاط من سيطرة جنود الترك والديلم ، وإذا كان هو قد نهض بالدولة ووطد سلطان بني أمية في كل الأندلس فلماذا لا يكون من حقه لقب خليفة لذلك وبعد استشارة بعض

الفقهاء أصدر أمر (ذي الحجة سنة 316 هـ / 928 م) وأصبح عبد الرحمن الثالث يلقب بالخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، وقد أرسلت نسخ من هذا الإعلان إلى إفريقية والمغرب ، وبذلك أصبحت الخلافة الأموية مساوية للخلافة العباسية ، ويناط بها رعاية شؤون المسلمين فنجح في تحويل ملوك إسبانيا النصرانية إلى أتباع له أو حلفاء،كما أنشأ مدينة الزهراء وزاد المسجد الجامع بقرطبة كما اهتم الناصر بالجيش وجمع له الجند من أنحاء المغرب والأندلس ، واستكثر من الأسلحة وأمده بمجموعة من أمهر القادة ، وتولى القيادة بنفسه أحياناً ، كما أمر الناصر باتخاذ دار للسكة في قرطبة سنة (316 هـ / 928 م) لضرب الدنانير والدراهم وتوفي عبد الرحمن الناصر سنة (350 هـ / 962 م) بعد حكم دام خمسون سنة استطاع إعادة بناء الأندلس والوصول بها إلى مراتب الدول الكبرى عالميا في ذلك العصر.

الحكم المستنصر بالله (350 – 362 هـ / 962 – 974 م)

خلف عبد الرحمن الناصر أكبر أولاده الحكم المستنصر بالله ، الذي بويع يوم وفاة أبيه في الثالث من رمضان سنة (350هـ / 962 م) وهو في السادسة والأربعين من عمره ، فبعد أن رتب أمور الدولة وواجه الأخطار الداخلية والخارجية بحزم ، ووجه أكبر اهتمامه إلى الآداب والعلوم، فازدهرت في عصره حتى وصلت الأندلس إلى قمة تطورها ، فاجتمع له في خزانته أكثر من أربعمائة ألف مجلدا تتعلق بمختلف أنواع العلوم في عصره، كما احتضن العلماء وأغدق عليهم حتى نالوا حظوة كبيرة عنده شعر الحكم المستنصر في أواخر عهده بالضعف والمرض ، فأوصى لابنه هشام بولاية العهد من بعده وهو لم يبلغ العاشرة من عمره بعد ، وقد أخذ له البيعة قبل وفاته ، فلما انتقل إلى جوار ربه نفذت رغبته وأصبح ابنه الصغير خليفة للمسلمين في الأندلس ، إلا أن الخليفة المؤيد بالله ونظرا لصغر سنه ، شكل مجلسا للوصاية عليه ، وهذا لتسيير شؤون الدولة ، بما مهد الطريق لبروز شخصية قحطانية قوية وفريدة من نوعها ، لكن من خارج البيت الأموي ، وهي شخصية محمد بن أبي عامر الذي استطاع بدهائه السيطرة على أمور الحكم بعد أن قام بإقصاء كل المنافسين والمناوئين له فتخلص في البداية من سيطرة الصقالبة ، ثم من الحاجب بن عثمان المصحفي ، وكذا من القائد غالب (قائد الجيش) وبعد ذلك أبعد السيدة صبح أم هشام المؤيد بالله ، فخلا له الجو بذلك للانفراد بالملك ، فتغلب على الخليفة هشام المؤيد وحجره في قصره ، لا تراه الخواص ولا العوام ، ثم تسمى بالحاجب المنصور سنة (371هـ / 983 م) كما أمر بالدعاء له على المنابر بعد الخليفة . هذا الوضع ، جعل السلطة الزمنية تخرج عن سيطرة الخليفة والأمويين بشكل عام، فلم تبق لهم إلا السلطة الروحية من الدعاء على المنابر وكتابة اسم الخليفة على السكة والطرز لتبدأ مرحلة الدولة العامرية التي نشأت في قلب الدولة الأموية وفي عز قوته هكذا نجح ابن أبي عامر في السيطرة على مقاليد الأمور، وأعاد للأندلس الإسلامية هيبتها إذ قام (بست وخمسين) غزوة ضد الممالك المسيحية بالشمال لم تنكس له فيها راية ولا فل له جيش ومن الناحية الثقافية كان بلاطه في المدينة الزاهرة ملتقى للكثير من العلماء وشعراء المديح الذين أرخوا لحكمه ، ثم خلفه ابنه عبد الملك المظفر (392 - 399 هـ / 1002 - 1009 م) ، فسار بالحجابة سيرة أبيه بصفة عامة .

==========